اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 05-06-2009 رقم العدد: 16863 رقم الصفحة: 15 مسلسل: 88 رقم القصاصة: 1

من انطلاقة العهد الى خطاب جامعة القاهرة

أوباما يبدأ علاقة جديدة مع العالم الإسلامي ولكن...

الملك عبد الله بن عبد العزيز مستقبلاً الرئيس أوباما في الرياض (أ ب)

عمرو عبدالعاطي *

قبل أن تطأ قدماه البيت الأبيض في ٢٠ كانون الثاني (يناير) الماضي، تعهد الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي قائمة على الاحترام المتبادل والمصلحة المشتركة. بعد ثماني سنوات - فترتي حكم الرئيس جورج دبليو بوش والمحافظين الجدد - من التدهور والتوتر، ناشيك عن تراجع الصورة الأميركية في العالم الإسلامي.

وشهدت العلاقات الأميركية - الإسلامية مرحلة من التوتر والتدهور خلال السنوات الثماني الماضية لم تشهدها من قبل في أوج أزماتها؛ لسياسات فريق المحافظين الجدد الذي سيطر بصورة قوية وجلية على إدارتي بوش الابن، لا سيما الأولى، بشنه حربا على دولتين إسلاميتين، أفغانستان (تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠٠١) والعراق (آذار/ مارس ٢٠٠٣)، وانحيازه الفج واللامتناهي الى الكيان الإسرائيلي، والأهم ربطه الإسلام بالعمليات الإرهابية المتنامية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، فأقطاب إدارة بوش الابن كانوا ينظرون إلى الإسلام على انه «مفرخة الإرهاب»، وهو ما انعكس بصورة واضحة على خطابهم تجاه العالم الإسلامي الذي يتضمن مفاهيم ومصطلحات مناهضة للإسلام والمسلمين من قبل «الحرب الصليبية الجديدة» لتوصيف

اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 05-06-2009 رقم العدد: 16863 رقم الصفحة: 15 مسلسل: 88 رقم القصاصة: 2

الحرب الأميركية ضد أعدائها بالعالم الإسلامي، والذين وُصفوا في سياق آخر بـ «الفاشيين الإسلاميين».

وخلال الأشهر الأربعة الماضية، أو ما يزيد، على الإدارة الأميركية الجديدة في البيت الأبيض، أعرب أوباما وإدارته عن رغبة قوية في نهج جديد من العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي، ابتداء بخطابه التنصيبي وإجرائه أول حوار تلفزيوني له كرئيس للولايات المتحدة مع قناة «العربية» الفضائية، مروراً برسالة تهنئته الشعب الإيراني بعيد «النيروز» وخطابه أمام البرلمان التركي، وانتهاء باختيار وزيرة خارجيته جاكرتا لتكون أول عاصمة إسلامية تزورها، وهو اختيار لم يكن من باب المصادفة كما صرحت الوزيرة نفسها.

... والرئيس حسني مبارك مرحباً بالرئيس الأميركي في القاهرة (أ ف ب)

هذه التحركات والتصريحات ذات مغزى يرسم ملامح السياسة الأميركية مع العالم الإسلامي خلال السنوات الأربع المقبلة، فقترة أوباما في البيت الأبيض. وفي حقيقة الأمر، هناك أربعة مقومات أساسية تعزز من فرص أوباما في مهمته لتدشين عهد جديد من العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي كشفت عنها الأشهر التي قضاها في مكتبه البيضاوي، وهي:

أولاً: القبول الذي يتمتع به في الأوساط الشعبية الإسلامية والعربية سواء إبان حملته الانتخابية الرئاسية خلال العام المنصرم أو بعد فوزه برئاسة الولايات المتحدة. فشعبية أوباما في تلك الأوساط تتفوق على شعبية الولايات المتحدة ذاتها. ففي استطلاع لمعهد «ابيسوس» في ست دول عربية (الأردن، الإمارات، المملكة العربية السعودية، لبنان، الكويت، ومصر) خلال الفترة من ٩ إلى ٢٥ آذار (مارس) الماضي ظهر أن ٣٣ في المئة يحملون مشاعر إيجابية عن الولايات المتحدة بينما ٤٨ في المئة يكنون تقديراً رفيعاً لأوباما، وتلك النتائج أكدها الاستطلاع السنوي للرأي العام العربي الذي يجريه «معهد أنور السادات للسلام والتنمية» في جامعة «ميريلاند» الأميركية بالتعاون مع مؤسسة «زغبي الدولية» خلال شهري نيسان (أبريل) وأيار (مايو) من العام الحالي في ست دول عربية أيضاً. ولهذا يمثل أوباما فرصة مواتية للولايات المتحدة لن تجد أفضل منه ليعيد بناء الهوة بينها والعالم الإسلامي، ويفتح صفحة جديدة مع شعوبه تطوي مآسي السنوات الثماني الماضية.

هذا، إلى جانب كاريزمية الرئيس الأميركي الجديد ونظرة شعوب العالم الإسلامي إليه على أنه وجه أميركا الجديدة الذي يجسد رؤيتهم للولايات المتحدة كدولة الديموقراطية والحريات بعد تراجع الإيمان الإسلامي بها خلال فترتي بوش. ناهيك عن سيطرة جذور أوباما الإسلامية وترعرعه في أكبر دولة إسلامية (إندونيسيا) على ذاكرة ومدركات شعوب العالم الإسلامي للرئيس الأميركي.

ثانياً: نجاح أوباما خلال الأشهر القليلة له في البيت الأبيض في إعادة صوغ الخطاب الأميركي تجاه العالم الإسلامي، وتنقيته من النظرة الأميركية الاستعلائية

اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 05-06-2009 رقم العدد: 16863 رقم الصفحة: 15 مسلسل: 88 رقم القصاصة: 3

والألفاظ المتعجرفة، والاستدعاء المغلوط لنظرية «صراع الحضارات» لصموئيل هينتنغتون من أن الإسلام هو عدو الولايات المتحدة بعد انهيار وتفكك عدوها الرئيس إبان الحرب الباردة (الاتحاد السوفياتي)، والتي روج لها أقطاب المحافظين الجدد خلال سنواتهم في البيت الأبيض. ففي خطابه التنصيبي، أكد أوباما سعيه إلى نهج جديد مع العالم الإسلامي قائم على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل، وأمام البرلمان التركي نفى كون واشنطن في حرب مع الإسلام قائلاً: «إن الولايات المتحدة ليست، ولن تكون، في حرب مع الإسلام»، فضلاً عن تأكيده أثر الحضارة والثقافة الإسلامية في تقدم الولايات المتحدة.

ثالثاً: ينطلق أوباما في تعامله مع العالم الإسلامي وقضاياه من رؤيته العالم الإسلامي كما هو (as it really is) وليس من رؤيته لما يجب أن يكون عليه (like it to be)، وذلك على خلاف إدارة الرئيس بوش وأقطابها من المحافظين الجدد التي كانت تنطلق من رؤية أيديولوجية وأفكار مسبقة صيغت خلف الأبواب المغلقة عن العالم الإسلامي وشعوبه، لكن أوباما يسمو فوق تلك الأفكار الأيديولوجية والقوالب الجامدة. وينظر أوباما إلى العالم الإسلامي على أنه شريك استراتيجي على قدم المساواة مع الولايات المتحدة وليس كتهديد للأمن والمصلحة القومية الأميركية على خلاف سياسات المحافظين الجدد التي كانت تنظر إلى العالم الإسلامي على أنه تهديد لأمن الولايات المتحدة ومصالحها.

رابعاً: انعكس هذا التوجه على مقاربة أوباما قضايا العالم الإسلامي، بتعامله منذ اليوم الثاني له في البيت الأبيض مع قضاياه كما هي في الواقع، فجاء تعيين مبعوثين على درجة عالية من الكفاءة والمهنية السياسية إلى أقاليم أزماته، وقد أعطى القوة الناعمة والدبلوماسية أولوية على القوة الصلدة لتنفيذ السياسة الخارجية الأميركية وللحفاظ على أمن ومصالح الولايات المتحدة، وشدد على حل الدولتين حلاً للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، والضغط على الحكومة اليمينية الإسرائيلية بوقف تمدد مستوطناتها في الأراضي الفلسطينية، ورفض الانصياع لتأثير اللوبي الإسرائيلي داخل واشنطن لتماهي الولايات المتحدة مع السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية والأزمة النووية الإيرانية.

يثير توجه باراك أوباما الى فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي خمس ملاحظات رئيسة، هي:

أولاً: إن تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم الإسلامي ليس من الأمور السهلة، خصوصاً أن الصورة السلبية لواشنطن والمرسخة في كثير من بلدان العالم الإسلامي لم تتكون بين عشية وضحاها ولن تتبدل بين ليلة وضحاها، وأن نجاح الدبلوماسية العامة الأميركية لا يمكن أن تنفصل عن نجاح الدبلوماسية الرسمية.

ثانياً: محورية الصراع العربي - الإسرائيلي والعراق في التقارب الأميركي مع العالم الإسلامي، وهما يُشكلان أكبر التحديات التي تقف أمام أي فرصة لإعادة تشكيل العلاقات الأميركية - الإسلامية. ومن دون إنهاء العنف والفوضى في العراق وسحب القوات الأميركية، ومن دون إظهار واشنطن دوراً نشطاً ورياديا في التوصل إلى تسوية عادلة وشاملة للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي سيظل العرب ينظرون بعين الشك والريبة لأي أهداف تسعى واشنطن إلى تحقيقها في المنطقة وإن كانت الإصلاح والتحول الديموقراطي.

لا تغيير جوهرياً

ثالثاً: لا تعني سياسة أوباما للتعامل مع تراجع التأييد للولايات المتحدة الأميركية في العالم الإسلامي وتدهور الصورة الأميركية، والسياسة الأميركية التي كانت وراء هذا التدهور والتراجع في المكانة الأميركية تغييراً في ثوابت السياسة الخارجية الأميركية. فالقراءة التاريخية للسياسة الخارجية الأميركية تجاه العالم الإسلامي (وفي القلب منه الشرق الأوسط منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى بدايات القرن الحادي والعشرين) تكشف أن سياسات الإدارات الأميركية على اختلافها،

اسم المصدر: الحياة

التاريـــخ: 05-06-2009 رقم العـدد: 16863 رقم الصفحة: 15 مسلسـل: 88 رقم القصاصة: 4

ديموقراطيـة وجمهوريـة، تجـاه الشـرق الأوسـط، لم تتغير بصورة جوهرية، فهناك مصالـح اسـتراتيجية ثابتـة، منهـا أمن إسـرائيـل والنفـط والدفـاع عـن النظم العربيـة الصديقـة والحليفـة للولايـات المتحـدة الأميركية هذه مصالـح لم تتغير كثيراً على اختلاف الإدارات. وهو ما يؤسس صـورة بنيـوية ثابتة للسياسـة الأميركية تجاه قضـايا الشـرق الأوسط. ولذا، فإن أي تغيير في السياسـة الأميركية تجاه قضايا العالـم الإسـلامي ومنـه منطقة الشـرق الأوسـط سـيكون تغييراً تكتيكيـاً وليس استراتيجياً.

رابعـاً: العالـم الإسـلامي ليـس كتلة واحدة متجانسـة مجتمعة في كيان واحد، والـذي يجعـل مهمـة أوباما للتقـرب إلى العالـم الإسـلامي ككل مهمة صعبـة. فمن الصعوبـة بمـكان اعتمـاد أوبامـا خطاباً موحدا إلى العالم الإسلامي من مكان واحد. فاسـتخدام أوباما قالبـاً واحـداً للتعامل مع العالم الإسـلامي لن يجـدي، لجملة من الاختلافـات والتنافـرات بيـن دول العالم الإسـلامي التـي تكون في التحليل الأخير معوقاً لفرص التقـارب الأميركية مع العالم الإسلامي.

أخيراً، إن الولايات المتحدة ليست كلها باراك أوباما. فما زالت هناك داخل الولايات المتحـدة قوى سياسـية رافضـة للتقارب الأميركي مع العالم الإسلامي وإعادة تشكيل العلاقات الأميركية - الإسـلامية، والاعتذار عـن سياسـات بـوش الابـن والمحافظين الجـدد التي وتّرت العلاقـات الأميركية مع العالم الإسـلامي أنظمة وشـعوباً، وهناك داخل واشنطن من لا يريد ذلك على الإطلاق مـن أقطـاب المحافظيـن الجـدد وعدد من أعضـاء الكونغـرس الأميركـي وعـدد من مراكز التفكير والـرأي الأميركية ومنظمات اللوبي الإسـرائيلي، وهي قـوى مؤثرة في صناعة القـرار الأميركي. وهذا الأمر يفرض علـى أوبامـا إحـداث صيغـة توازنية في مقاربته العالم الإسـلامي تحقق هدفيه من فتـح صفحة جديـدة مع العالم الإسـلامي وعدم إغضاب المؤثريـن في صناعة القرار الخارجي الأميركي.

---

* محرر «تقرير واشنطن» أحد مشـاريع «معهد الأمن العالمي»